محمود محمد شـ

..ورحل الفارس الأخير

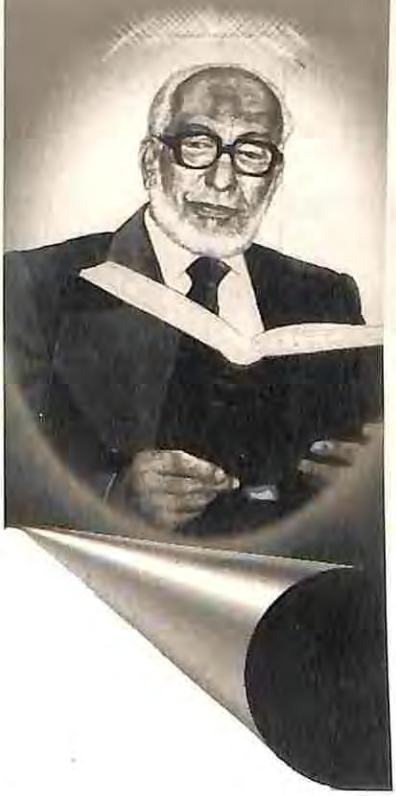

أفضى المرحوم محمود محمد شاكر إلى ربه، وانقطع عما نحن فيه، وأصبح الذي نحن فيه لا يضره ولا ينفعه، ولا معنى لأن نكتب عنه إحياءً لذكراه، ولا عرفاناً لفضله، لأن كل ذلك لغو يلغو به الأحياء، أما من جاءته سَكْرَةُ الموت بالحق، وكشف عنه غطاؤه. فليس من هذا الذي نحن فيه في شيء. والقضية قضيتنا نحن الأحياء وقضية مَنْ بَعْدنا من وارث يرثنا، ويرث هذه الأرض، وهمومها، وتاريخها، وصراعاتها الدائرة فيها، والدائرة عليها، والدائرة حولها.

وإنما نكتب عن رجالنا لنَتَعَرَّفَ على حقائق قضايانا، وكيف كانوا يَرْوْنها، ويرون حلولها، ويرون مخاطرها، وكل هذا لنا، ولمن بعدنا، ودراسته فرض واجب، لا محيد لنا عنه، ولا يجوز التفريط فيه، لأنه جزء من تاريخنا، وجزء من ثقافتنا، ومعارفنا، ثم هو جزء من قضايانا التي نعيشها، وصراعاتنا التي نكابدها مع من حولنا، من أمم الأرض في زمن غلب فيه الصراع على الحوار، وغلَبتْ فيه القوة على الحق، وَرَجَعت بنا هذه الحضارة إلى عوائد الجاهلية، التي وصفوها في مثل قولهم «مَنْ عزَّ بَزّ» «وَمنْ غَلبَ سَلَب».

د. محمد محمد أبوموسى*

وقليل هم في زماننا الذين عاشوا هموم الوجود العربي الإسلامي، ومن هذا القليل الأستاذ محمود محمد شاكر الذي انقطع لهموم العرب والمسلمين، وجعل هذا الهم شاغله في ليله ونهاره، وفيما يكتب، وفيما يقرأ، وفيما يحدث به مَنْ يرتادونه، وكأن هذه الأمَّة العربية الإسلامية مع تنائي أقطارها، واتساع ديارها، واختلاف أجناسها، إنما هم أبناء أمه وأبيه، وهم أهله، وعشيرته، الذين يقوم لهم، ويقعد.

ـــاكر.. والفجر الصادق

وقد درس تاريخ الإسلام، والصراعات التي دارت في دوله، سواء كانت هذه الصراعات في داخل ديار الإسلام، كما كان يحدث بين الأجناس المختلفة المتصارعة في دولة الخلافة، من الفرس، والترك، والعرب، أو كان هذا الصراع بين دول الإسلام والأمم الأخرى، وخاصة الأمم الأوربية منذ بداية الحروب الصليبية، ثم فتح القسطنطينية، وتوغل جيوش المسلمين في قلب أوربا الشمالية ثم الاستعمار الحديث، وحملاته، وجهاد المسلمين له، توسّع في دراسة كل ذلك، وتعمقه، وفرغ له، حتى يخيل إليك وأنت تقرأ ما كتب أنه عاش الأحداث التي يحدثك عنها، وداخل الأشخاص الذين يصنعونها، وكأنه كان يعيش مع رهبان أوربا وملوكها وقادتها، وهم يُجيّشون جيوش الصليبية، وكأنه كان يعيش في قلب وعقل الجنود، وكأنه كان يعيش مع المستشرقين، ورجال التبشير، والاستعمار، وهم يعدون العدة في الزمن بعد الزمن وفي الجيل بعد الجيل لتدمير دولة الإسلام.

وكان رحمه الله يعتقد اعتقاداً جازما أن الثقافة العربية الإسلامية المتكاملة والمتضاربة، والمتداخلة، والحية، ـ كما كان يصفها ـ والتي انبثقت أصولها، وتسلسلت ينابيعها، من النظر في كلام الله وفي كلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، هي أصل هذا الوجود العربي الإسلامي، وهي أصل قوته، وهي الرابط الجامع لوحدته، والقوة الحية المتحركة في ضميره، وأن هذه الأمة خاضت معاركها مع الأمم، والشعوب، والعقائد، والأديان، والثقافات، والحضارات، وانتصرت، وسادت، وعمرت الأرض، بهذا الدين العظيم، وهذه العلوم التي هي شارحة له، ومستنبطة من النظر فيه، ودائرة حوله.

وكان علماء الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين مَهَّدُوا لهذه العلوم، وطرَّقوا طرقها، وفتحوا أبوابها، بما سمعوه من رسول الله ﷺ، الذي كان مثله فيهم كمثل الغيث أصاب أرضا، ثم جاء التابعون ومن بعدهم وأجيال العلماء، جيلا من بعد جيل، الكل يراجع، وينقح، ويستنبط، ويضيف، ويكشف، ويشرح، حتى أقاموا أصول هذه العلوم العربية الإسلامية، والتي قامت عليها حضارة الإسلام، وشرحت للناس دين الله، وصانته من التعديل، والتحريف، والتغيير ودسائس أعدائه، الذين كانوا يمكرون في فقهه، كما يمكرون في أرضه، وبقي بها الحلال حلالا، والحرام حراما، حتى يومنا هذا، كيوم أنزله الله.

ويرى الأستاذ محمود محمد شاكر في كل ما كتبه، أنه من المحال، أن تجد هذه الأمة سبيلا إلى النهوض، إلا بأن تنهض علومها، التي هي عقلها، وقلبها، وذات نفسها، وأن النهضة تبدأ من نقطة واحدة، وهي نهضة العلوم التي تمثل الثقافة العربية الإسلامية المتكاملة، وأي محاولة تتجاوز هذه النقطة، هي محاولة باطلة، وأن علماء الأمة أدركوا ذلك لما تنبهوا إلى ما أصاب المسلمين من الوهن، الذي يصيب الأمم كلها، وذكر الشيخ خمسة من العلماء الأعلام، وسنذكرهم فيما بعد ووصفهم بقوله «أحسوا بالخطر المبهم المحدق بأمتهم، فهبوا بلا تواطؤ بينهم، كانوا رجالا أيقاظا مُفرَّقين، في جنبات أرض، مترامية الأطراف، متباعدة أوطانهم، لا يجمعهم إلا هذا الذي تَوَجَّسُوهُ في

قرارة أنفسهم، مبهما، من خطر محدق، أحسوا الخطر فراموا إصلاح الخلل الواقع في حياة دار الإسلام، خلل «اللغة»، وخلل «العقيدة»، وخلل «علوم الدين»، وخلل «علوم الحضارة»، وبأناة وصبر عملوا وألفوا وعلموا تلاميذهم، وبهمّة وجد أرادوا أن يدخلوا الأمة عصر النهضة، نهضة دار الإسلام» (١) وذلك في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، وكان الأستاذ رحمه الله يواجه بهذه الحقائق، هذا الزيف الذي ضلل العقل العربي الإسلامي، وغرس في الأجيال الناشئة الاعتقاد بأن النهضة بدأت باجتياح الغزو المسيحي لهذه الديار، وانتهاب ثرواتها، وتدمير حضارتها، وسفح دمائها، وتخريب بنيانها، وقد صدقنا ذلك، وكتبناه، في كُتبنا، وصار من العلم الذي نخرج به من الظلمات، إلى النور، ويقول الشيخ إن هذا عكس الحقيقة التاريخية، لأن هذا الزحف المسيحي أو الزحف المسيحي المقدس كما كان يسميه الأوربيون أنفسهم، والذي يحقق لهم أهدافا روحية كما قالوا، أيضا، إنما كان لتدمير اليقظة التي بدأت في القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الهجري، وهو يقابل نهاية القرن السابع عشر إلى نهاية الثامن عشر، أعني أوائل التاسع عشر، وفي هذين القرنين ظهر خمسة من الأعلام سماهم الشيخ صناديد النهضة، واليقظة الإسلامية، وهم (٢)

١ ـ عبدالقادر البغدادي صاحب الخزانة المتوفى ١٠٩٣هـ الموافق ١٦٨٣م

٢ ـ الجبرتي الكبير المتوفى ١١١٨هـ الموافق ١٧٧٤م

٣ ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب المتوفى ١٢٠٦هـ الموافق ١٧٩٢م

٤ ـ المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس والمتوفى ١٢٠٥هـ الموافق ١٧٩٠م

٥ ـ الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ الموافق ١٨٣٤م

ومعروف أن الذي توجه إلى إحياء اللغة هو البغدادي، والزبيدي، والذي توجه إلى علوم الحضارات هو الجبرتي الكبير، الذي كان يدرس في الأزهر علوم الصناعات، والهندسة، وكان يحضر درسه «طلاب» من الفرنجة كما قال ابنه المؤرخ، (٣)

والذي توجه إلى إصلاح خلل العقيدة هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب والذي توجه إلى إصلاح خلل علوم الدين أعني الفقه هو محمد بن على الزيدي، الشوكاني.

وادرس تاريخ هؤلاء الرجال ومؤلفاتهم وما أحدثوه من يقظة، لتتأكد أن الزحف العسكري المسيحي من هذا التاريخ ـ حملة نابليون على مصر كانت سنة ١٧٩٨م ـ إنما كانت لتدمير هذه اليقظة، وكانت المسافة بيننا وبينهم في هذا الزمن قريبة يمكن أن تدرك بقليل من الجد،

وهذ المعنى أكده الأستاذ محمود شاكر تأكيدا قاطعا، بما رواه من أحداث ثورة القاهرة الكبرى على الوجود الفرنسي، وكان ذلك في ١٠ جمادى الأولى ١٢١٣هـ ٢١ من أكتوبر ١٧٩٨م، أي بعد ثلاثة أشهر من تدنيس نابليون أرض مصر، فارتكب في قمع هذه الثورة من القسوة، والتدمير، وذبح الرجال والنساء، وسفح الدماء الغزيرة ما ارتكب، ونذر ـ وأوفى بنذره ـ أن يذبح عند شروق كل شمس خمسة أو ستة «تقطع رؤوسهم ويطاف بها في أنحاء القاهرة» ويقول الشيخ «ولا شك عندي أن هؤلاء الخمسة، أو الستة، هم من طلاب العلم في الأزهر، ومن المحرضين على مقاومة هذا الغازي المنتهك لحرمة ديار الإسلام، وأن الاستشراق هو الذي كان يقدمهم لهذا الجزار، وأنه كان يتخيرهم له، لأنه كان على معرفة سابقة بهم، وأنهم كانوا من الطلبة النابهين من ورثة الجبرتي الكبير، والزبيدي، أي أنهم كانوا من طلائع اليقظة التي جاءت الحملة الفرنسية قبل كل شيء لوأدها في مهدها» (٤)

ويكرر الأستاذ هذه الفكرة وهي أن وأد اليقظة في ديار الإسلام كان من أهداف الحملات العسكرية على دياره، وأن الاستشراق كان وراء ذلك وأنه، خبر هذه الديار، وعاش فيها، وعرف ما يجري، وأفزعه ما رآه، من يقظة، فكتبوا إلى دولهم، وحرضوهم على الانقضاض على هذه اليقظة، قبل أن تشتد، وتاريخ هذه الكتابات بدأ مع تاريخ اليقظة، ومنهم من كان يحضر دروس الجبرتي في الهندسة وعلوم الصناعات، ويسخر الأستاذ سخرية مرة من هذا الفساد المخجل الذي نعيشه حين نقول: إن غزو نابليون لمصر هو بدء النهضة، ويقول رحمه الله بعدما بين تخريب مدينة القاهرة، التي كانت من أحسن مدن العالم بعمارتها، وفنونها، وبركها، ومتنزهاتها، وبعدما خرجت جيوش نابليون منها.. «ولكن صار هذا التدمير في عين حياتنا الأدبية الفاسدة هو رسول الحضارة الذي جاء ليخرجنا من ظلمات الجهل إلى عصر النور والتنوير، لا تضحك ولا تبك، ولكن أطرق إطراقة الخزي، والمهانة، والعار.(٥)

ولم يقف الخطأ عند هذا الخزي وهذه المهانة وهذا العار، الذي دل على جهلنا بتاريخنا، ورجالنا، الذين أسسوا لنهضتنا، ووضعوا لها المنار، وسلكوا الطريق، ونبهوا، وأيقظوا، وأحس عدوهم بخطرهم، وأنه عُمِّي علينا، وجهلنا كل ذلك، وجعلنا تاريخ وأد هذه النهضة، هو بداية النهضة، أقول لم يقف الأمر عند هذا، وإنما تجاوزه إلى ما هو أبشع منه، وأشنع، وهو طريق النهضة نفسه، إذ تركنا الطريق الصحيح، الذي بدأه خمسة الأعلام وسقطنا في أخطر ماسقط فيه عقل أمة، وهو الاعتقاد، بأن سبيل النهوض، هو السير وراء هؤلاء الذين دمروا نهضتنا، والأخذ عنهم في المعارف، والثقافات، والآداب، والفنون وبدأ إغراء العقل الإسلامي بالثقافة الاوربية المسيحية، وآدابها وفنونها، وجهلنا أن الثقافات

■■ من المخالف لفطرة الأشياء أن تنهض أمة بعقل أمة غيرها.

■■ تدمير علوم الأمم هو تدمير ذات الأمم.

السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، وأن هذا العالم له نهاية تكون ﴿**إذا السماء انشقت، وأذنت لربها، وحقت، وإذا الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت**﴾ كل هذا ينقضه الفكر الأوربي المسيحي الوثني في نفس المسلم، ويرسخ مكانه وجهة النظر المسيحية الوثنية.

■ **الأمر الثاني:** هو أن هذا الفكر الأوربي المسيحي الذي تفرد في تكوين الأجيال يفضي بنا إلى فقدان الذات، هكذا يقول الدكتور زكي نجيب محمود يعني أننا نفتقد وجودنا، من حيث إننا عرب مسلمون، ونصير خلقاً ممسوخاً، تابعين لأصحاب هذه الحضارة التي صرنا من خدمها،

وبهذا نصبح خبراً من أخبار التاريخ.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود وهو يشرح غلبة الفكر الأوربي قديمه وجديده وسيطرته على عقول الآلاف المؤلفة من المثقفين العرب، وغيبة الفكر العربي الإسلامي عن هذه الآلاف المؤلفة، حتى كانت مذاهبه، وأعلامه، تتراءى لهم كأنها أشباح طافية على سطور الكاتبين:

«فهو واحد من ألوف المثقفين العرب، الذين فتحت عيونهم على فكر أوربي قديم أو جديد حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره، ولبثت هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام، الفكر الأوربي دراسته، وهو طالب، والفكر الأوربي تدريسه، وهو أستاذ، والفكر الأوربي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداء، مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين» (٧)

هذا النص يصف مايذكره الأستاذ محمود شاكر من تفريغ الأجيال من ثقافتها العربية الإسلامية المتكاملة والمتداخلة ثم ملء هذا الفراغ بالفكر الأوربي المسيحي.

ويبين الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود خطر هذا، وأثره في تشكيل رؤيته، حتى إنه دعا يوماً إلى بتر التراث بتراً، قال رحمه الله وهو يعتذر عن هذا الرأي الذي قال به أيام أن كان أصحاب هذه الحضارة يحتلون بلادنا:

«بدأت بتعصب شديد لإجابة تقول إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة، إلا إذا بترنا التراث بتراً، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علما وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان، والعالم، بل إني تمنيت عندئذ أن نأكل كما يأكلون، ونجدّ كما يجدُّون، ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون» (٨)

ويكرر الدكتور أن هذا الشطط الذي ذهب إليه إنما كان مرجعه هو «جهلي بالتراث العربي جهلاً كاد أن يكون تاماً، والناس ـ كما قيل بحق ـ أعداء ماجهلوا»

ثم قال «ثم تغيرت وقفتي مع تطور الحركة القومية، فما دام عدونا الألد هو نفسه صاحب الحضارة التي توصف بأنها معاصرة، فلا مناص من نبذه، ونبذها معه، وأخذت أنظر نظرة التعاطف مع الداعين إلى طابع ثقافي عربي خالص، يحفظ لنا سماتنا ، ويرد عنا ما عساه أن يجرفنا في تياره، فإذا نحن خبر من أخبار التاريخ، مضى زمانه، ولم يبق منه إلا ذكراه» (٩)

والتراث الذي دعا الدكتور زكي نجيب محمود إلى بتره قبل أن يثوب إلى رشده هو التفسير، والحديث، والفقه، واللغة والشعر، وعلوم الكتاب، والسنة والأعلام، الذين كان يراهم أشباحاً طافية هم مالك، والشافعي، وأحمد، والخليل، وسيبويه، والجاحظ، والتوحيدي، وطبقات المفسرين، والمحدثين، والمؤرخين.

وكل كلام الدكتور يحتاج إلى مراجعة ليس موضعها هنا، لأنه من العجيب أن تدرس آلاف مؤلفة فكراً يزلزل عقائدها، ويمحو ذواتها، ويصيرها خبراً من أخبار التاريخ، وهم لا يفطنون إلى ذلك، والدرس تمحيص ويقظة!.

ثم كيف يجهلون أنها ثقافة العدو الألد، والاحتلال قائم، والشعب ينتفض في مطاردته؟ ثم كيف يسبق إلى ظنونهم أنه لا علم سواه؟ والمعارك دائرة بين حماة الثقافة العربية الإسلامية، الذين ينبذون العدو وثقافته وبين دعاة ثقافة العدو، والذين يعيشون في ظله؟ وكيف يجهل من يعيش في مصر علوم العربية والإسلام، وهي بلد الأزهر، موئل هذه العلوم، وكعبة طلابها من أقطار الأرض؟. كل هذا غريب، وأغرب منه أنه لا ينبه إلى هذه الحقيقة المفزعة، والتي تصيرنا خبراً من أخبار الماضي إلا الحركة القومية التي تجهمت في وجه كل ما هو أوربي بحكم توجهها الاشتراكي، وهل

■ د. طه حسين

بعقله هو، وراجع بعلمه هو، وانتهى به الرأي إلى الذي قاله، صوابا كان أو خطأ، لما كانت هناك ما سماه الأستاذ «محنة الشعر الجاهلي».

ولو أن الدكتور طه عرض الذي عرض على طلابه مسندا إلى مصدره، وحافظ على ما تجب المحافظة عليه من أسانيد المعرفة، وقال هذا كلام مرجليوث لم تكن هناك محنة حتى لو قال وأنا مقتنع به.

ولما قرر المرحوم محمود شاكر ترك الجامعة بسبب هذا، وجاءه وفد من العلماء وأهل الرأي ومنهم أساتذة في الكلية من المستشرقين طلب منهم شرطا واحدا، يعود به إلى الكلية، وهو أن يقول الدكتور طه حسين لطلابه أن هذا الذي قلته في الشعر الجاهلي هو كلام فلان، وكان الأستاذ جويدي المستشرق الإيطالي يعلم أن ما قاله الدكتور طه هو مقال مرجليوث، ولكنه كما قال الأستاذ لما سمع منه هذا، طالبه على عادته بتوقير أساتذته، وراغ من جوهر القضية (٦)

كانت المحنة إذن أننا نحدث طلابنا، بمقالة أعدائنا في علومنا، وأدبنا، وتاريخنا، ونوهمهم أن هذا علم استخرجناه بالبحث، والنظر، والمنهج، والاستنباط، ومثل هذا مما يجعل له توقيراً في نفوس الطلاب الأغرار، مع أن هذا الذي نأخذ عنه علمنا أعجم «ليس عنده من أدوات النظر في العربية، وإدراك أسرارها، ما يجعل لرأيه قيمة، وهذا أمر يرجع إلى الطبيعة، فليس اللسان لسانه، وليس الأدب أدبه، وليس التاريخ تاريخه، هذا فضلا عن فساد طويته، ومقصوده من دراسته، وهذا الفساد يفسد منهجه، ولا يريد هو من وراء هذه الدراسة إلا تشويه وإفساد ومسخ الفكر العربي وتاريخه وكان مرجليوث مغاليا في هذا الإفساد، ومغاليا في حقده على العرب، والمسلمين، وهو يهودي يقطر حقداً.

وقد رد مقالته هذه التي سطا عليها الدكتور طه حسين سطواً عرياناً على حد عبارة الأستاذ محمود شاكر، بعض المستشرقين ومنهم الأستاذ ليال، الذي حقق كتاباً من أوسع الكتب وأفضلها، وهو المفضليات، وكتب مقدمة جيدة عن الشعر الجاهلي، ورفض كلام مرجليوث، واعتبره خارجاً عن المعقول، والمفضليات التي بين أيدينا مختصرة من هذا الأصل، اختصرها الفاضلان أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، والأصل الذى حققه «سيرليال» موسوعة فى اللغة والأخبار، والشعر، ومن المؤسف أن التحقيق المختصر اهتمت به دار المعارف، وأكثرت من نشره وغطى على هذا الأصل النافع.

وقد أقحمت هذا لأن شرح ابن الأنباري الأصلي من العلم النافع الذي غاب.

كانت المحنة كما رآها الأستاذ رحمه الله ورضي عنه أننا صرنا لا نكتفي بتغييب آدابنا وعلومنا وتاريخنا وفكرنا، ومناهجنا، وإنما نُصوِّر بكل ذلك في قلوب أجيالنا صورةً هي من تصوير العدو، الذي يجاهر بأن هدفه هو تدمير هذه العلوم، وهذه الحضارة، وهذا التاريخ، ثم نطبعها بأيدينا في قلوب أبنائنا، ونوهمهم أنها من كلامنا نحن، ونحن أمناء على تاريخنا، وعلومنا، ولسنا موضع تهمة، عند هؤلاء الطلاب، وليسوا أحرص على هذه العلوم، وهذا التاريخ منا، وليس وراء هذا هاوية أبشع ولا أشنع منها، يمكن أن نُسقط فيها أبناءنا، بأيدينا، وراجع هذا حتى تتصور الحجم المفزع للتدليس على العقول، الغضة المبتدئة، وكيف يُدَغمكمّرُ تاريخهم، في ذات نفوسهم، أو قل كيف تدمر ذات نفوسهم، لأن تدمير علوم الأمم، هو تدمير ذات الأمم،

واضح أن الأستاذ محمود شاكر الذي كان في سن الثامنة عشرة لم يكن متسرعاً حين اتخذ قراره الحاسم بترك الجامعة، حتى يَفرّ بعقله قبل أن يُدَمّر كما قال، وأنه نفذ في هذه السن إلى البشاعة المتسترة وراء طنين الأستاذية، والمنهج، والجامعة، وعالمية الثقافة، وغير ذلك مما تهالكت ولاتزال تتهالك فيه الأجيال،

وكان القرار صعباً، ملأ قلبه بالمرارة، كما وصف، وكما كرر الوصف، لأنه كان شاباً يستقبل العمر، ويحلم بالمستقبل الزاهر، ويمد في أحلامه تفوق ظاهر، ونبوغ، ونشأة في بيت من أكرم بيوت العلم، يرتاده أشراف الناس، وسادتهم، وأهل الرأي، والعلم، كما كان معقلاً من معاقل الوطنية، ولكن صدق النفس، والوفاء لما يجده المرء في قلبه غلب عليه، وصنع أعظم صنيع في تاريخ الثقافة العربية، ولفت أبين لفت إلى خطر هذا التحول الذي هو «جذر قضيتنا» كما كان يصفه رحمه الله.

وقد وصف هذا التحول بعد خمسين سنة مفكر عاش يدعو إلى الثقافة الغربية المسيحية، بأنه يفضي بنا إلى أن نكون خبراً من أخبار التاريخ، هذا المفكر هو الدكتور زكي نجيب محمود، فقد رأى أن غيبة العلوم العربية والإسلامية في مدارسنا، وجامعاتنا وبحوثنا ومؤلفاتنا وأنديتنا، ثم حضور الفكر الغربي الأوربي مكانها في هذا كله، يؤدي بنا إلى أمرين خطيرين.

■ **الأمر الأول:** هو نقض عقائدنا، لأن هذا الفكر الأوربي يقودنا إلى أن نأخذ «بوجهة نظر أصحابه في الإنسان والعالم» يعني أن نعتقد عقائدهم في ذلك، «ووجهة النظر في الإنسان» في الفهم الإسلامي أنه مخلوق لله رب العالمين، وأن مرده إلى الله، وأنه يعيش في هذه الدنيا، وعليه رقيب وعتيد يكتبان في صحيفة أعماله كل ما يكون منه، من خير وشر، وأن صحيفته هذه تنشر يوم البعث، وأنه إما أن يأخذ كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه أو يأخذه بيساره فيقول: ياليتني لم أوت كتابيه وهكذا العالم في الفهم الإسلامي، مخلوق لله رب العالمين، وله سبحانه ما في

■■ من المخالف لفطرة الأشياء أن تنهض أمة بعقل أمة غيرها.

■■ تدمير علوم الأمم هو تدمير خانة الأمم.

السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، وأن هذا العالم له نهاية تكون ﴿**إذا السماء انشقت، وأذنت لربها، وحقت، وإذا الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت**﴾ كل هذا ينقضه الفكر الأوربي المسيحي الوثني في نفس المسلم، ويرسخ مكانه وجهة النظر المسيحية الوثنية.

■ **الأمر الثاني:** هو أن هذا الفكر الأوربي المسيحي الذي تفرد في تكوين الأجيال يفضي بنا إلى فقدان الذات، هكذا يقول الدكتور زكي نجيب محمود يعني أننا نفتقد وجودنا، من حيث إننا عرب مسلمون، وتصير خلقاً ممسوخاً، تابعين لأصحاب هذه الحضارة التي صرنا من خدمها،

وبهذا نصبح خبراً من أخبار التاريخ.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود وهو يشرح غلبة الفكر الأوربي قديمه وجديده وسيطرته على عقول الآلاف المؤلفة من المثقفين العرب، وغيبة الفكر العربي الإسلامي عن هذه الآلاف المؤلفة، حتى كانت مذاهبه، وأعلامه، تتراءى لهم كأنها أشباح طافية على سطور الكاتبين:

«فهو واحد من ألوف المثقفين العرب، الذين فتحت عيونهم على فكر أوربي قديم أو جديد حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره، ولبثت هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام، الفكر الأوربي دراسته، وهو طالب، والفكر الأوربي تدريسه، وهو أستاذ، والفكر الأوربي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداء، مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين» (٧)

هذا النص يصف مايذكره الأستاذ محمود شاكر من تفريغ الأجيال من ثقافتها العربية الإسلامية المتكاملة والمتداخلة ثم ملء هذا الفراغ بالفكر الأوربي المسيحي.

ويبين الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود خطر هذا، وأثره في تشكيل رؤيته، حتى إنه دعا يوماً إلى بتر التراث بتراً، قال رحمه الله وهو يعتذر عن هذا الرأي الذي قال به أيام أن كان أصحاب هذه الحضارة يحتلون بلادنا:

«بدأت بتعصب شديد لإجابة تقول إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة، إلا إذا بترنا التراث بتراً، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علما وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان، والعالم، بل إني تمنيت عندئذٍ أن نأكل كما يأكلون، ونجدّ كما يجدّون، ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون» (٨)

ويكرر الدكتور أن هذا الشطط الذي ذهب إليه إنما كان مرجعه هو «جهلي بالتراث العربي جهلاً كاد أن يكون تاماً، والناس ـ كما قيل بحق ـ أعداء ماجهلوا»

ثم قال «ثم تغيرت وقفتي مع تطور الحركة القومية، فما دام عدونا الألد هو نفسه صاحب الحضارة التي توصف بأنها معاصرة، فلا مناص من نبذه، ونبذها معه، وأخذت أنظر نظرة التعاطف مع الداعين إلى طابع ثقافي عربي خالص، يحفظ لنا سماتنا ، ويرد عنا ما عساه أن يجرفنا في تياره، فإذا نحن خبر من أخبار التاريخ، مضى زمانه، ولم يبق منه إلا ذكراه» (٩)

والتراث الذي دعا الدكتور زكي نجيب محمود إلى بتره قبل أن يثوب إلى رشده هو التفسير، والحديث، والفقه، واللغة والشعر، وعلوم الكتاب، والسنة والأعلام، الذين كان يراهم أشباحاً طافية هم مالك، والشافعي، وأحمد، والخليل، وسيبويه، والجاحظ، والتوحيدي، وطبقات المفسرين، والمحدثين، والمؤرخين.

وكل كلام الدكتور يحتاج إلى مراجعة ليس موضعها هنا، لأنه من العجيب أن تدرس آلاف مؤلفة فكراً يزلزل عقائدها، ويمحو ذواتها، ويصيرها خبراً من أخبار التاريخ، وهم لا يفطنون إلى ذلك، والدرس تمحيص ويقظة!.

ثم كيف يجهلون أنها ثقافة العدو الألد، والاحتلال قائم، والشعب ينتفض في مطاردته؟ ثم كيف يسبق إلى ظنونهم أنه لا علم سواه؟ والمعارك دائرة بين حماة الثقافة العربية الإسلامية، الذين ينبذون العدو وثقافته وبين دعاة ثقافة العدو، والذين يعيشون في ظله؟ وكيف يجهل من يعيش في مصر علوم العربية والإسلام، وهي بلد الأزهر، موئل هذه العلوم، وكعبة طلابها من أقطار الأرض؟. كل هذا غريب، وأغرب منه أنه لا ينبه إلى هذه الحقيقة المفزعة، والتي تصيرنا خبراً من أخبار الماضي إلا الحركة القومية التي تجهمت في وجه كل ما هو أوربي بحكم توجهها الاشتراكي، وهل

■ د. طه حسين

نبذ المرحوم فكر العدو الألد مع نبذه لهذا العدو؟

كم اقتنعنا بسراب حسبناه فكراً، ورحمك الله يا شيخ الفلاسفة كم في إرثك الذي تركت لنا من غوامض؟ وكم فيه من متعة؟ ولا يجوز أن أدع هذا الموضوع من غير أن أضع بين يدي القارئ شهادة أخرى لعلوم الإسلام، وعلماء الإسلام، الذين أسسوا حضارته، شهد هذه الشهادة فيلسوف مثل الدكتور زكي، ولكنه ليس واحداً من المثقفين العرب وإنما هو الألماني «نيتشه» قال في كتابه «المضاد للمسيح» وهو ينتقد الحضارة الأوربية التي تجاهلت حضارة المسلمين في الأندلس، وأنها كانت أقرب إلى الروح الأوربية، من حضارة أثينا، وأنها وهذا هو المهم «بلغت شأواً لوقيست به حضارة القرن التاسع عشر لظهر إملاقه وفقره»(١٠) يعني أن هذه الأشباح الطافية في نفوسنا كانت أسست حضارة تجاوزت القرن التاسع عشر، ودخلت القرن العشرين.

والذي وصفه الدكتور زكي نجيب محمود لايزال قائماً كما وصفه، ولاتزال طاحونة السحق تدور وتسحق الآلاف المؤلفة، ونحن نرى ونسمع، وندفع أنفسنا بأنفسنا لنكون خبراً من أخبار التاريخ مضى زمانه، ولم يبق منه إلا ذكراه، ولم يقف أهل الرأي الوقفة الحاسمة، لتحويل هذا التحول الذي فرض علينا وأمرنا ليس بأيدينا، ولا مديد لنا عن تغييره، وعودة الأمر إلى نصابه، ووضع أجيال الأمة في علومها، وتاريخها، وحضارتها، حتى تنشأ النشوء الطبيعي الذي تنشؤه أجيال الأمم كلها.

وقد ذكرت أن الشيخ رحمه الله كان يضيق بالصمت عن هذه القضية التي ليست قضية فكرية، فحسب، وإنما هي قضية كيان، وكان يحرص على ذكرها في كل ما يكتب، لينبه الغافلين، ولتعلم الأجيال الجديدة على أي أرض تقف، وكيف نقبل الصمت والمداهنة، والخلود إلى الدعة، وإيثار الراحة، ونحن نعد أبناءنا لمستقبل يعلم الله ما يخبئه لهم، وقد سكنت في ديارهم حية من أخبث الحيات، «في أنيابها السم ناقع لا يشفى لديغها» وصار الأمر أمر جد، وهذا كله يوجب علينا أن نراجع كل شيء بصدق قصد، وصريح عقل، ورحم الله من كان هذا أكبر همه. ورحم الله الدكتور زكي نجيب محمود فقد شهد شهادة صدق من يكتمها فإنه آثم قلبه..

وكنت أقرأ بعض ما يكتب عن الشيخ بعد وفاته رحمه الله وأجد أنفاسا صادقة، وكان حظ هذه القضية أقل من القليل، وقد شغل البعض بذكر صبوة قديمة عاشها الرجل في شبابه، وكتم أمرها، أو كلاماً في أخبار «خولة» أخت سيف الدولة، وكان الذين شغلوا بهذا قادرين على أن يقتحموا هذه القضية الأم، وقد عني الأستاذ رحمه الله عناية شديدة بدراسة مؤسسات الاستشراق والتبشير والاستعمار، وهي ذات أصل واحد، واحتشاد هذه المؤسسات من أجل دفع هذه الثقافة المسيحية الغربية وفرضها على قلوب المسلمين، وعقولهم، ثم مطاردة علومهم وآدابهم، ولغتهم، وتاريخهم، وحضارتهم، وأن هذا لم يكن لصالح الأمم الإسلامية ولا لتنويرها، ولا لتطويرها، ولا لإدخالها في عصر النهضة كما تقرأ وتسمع، وإنما كان لتدميرها، وتشتت شملها، وإفراغها من كل مانتمسك به، ومن كل ما يشد كيانها، كالبنيان المرصوص، حتى تواجه التحديات التي فرضتها عليها الحضارة الأوربية المسيحية نفسها.

ولا شك أن إحكام السيطرة على العقل والفكر، هو ذاته إحكام السيطرة على الأرض. وفرق ساطع بين العلوم التي نتكلم عنها، وهي عندنا العلوم العربية والإسلامية التي تطارد بشراسة وجهل، ليحل محلها نظائرها أو ما يسد فراغها من علوم النصرانية، فرق بين هذا وبين العلوم البحتة، كالرياضيات، وعلوم الطبيعة، لأن هذه ملك مشاع أو هي كما يصفها الأستاذ رضوان الله عليه «تراث إنساني وإن كان زيفه المزيفون فأدخلوا في مفهوم العلم شيئا ليس منه»(١١) الأولى تتناقض تناقضاً صريحا مع عقائد المسلمين، وهي التي احتشدت أجهزة التبشير لاقتحامها في الأمم الإسلامية، وهي خطر على العقيدة، وخاصة إذا خلا العقل من علوم الإسلام التي تدفع عنه غوائل هذه الوثنية النصرانية

وقد وصف الأستاذ المرحوم محمود شاكر هذا التناقض الصارخ بين هذه الثقافة وعقيدة الإسلام، وذلك في رده على صديقه «محمد عودة» الذي كتب في جريدة «الجمهورية» كلمة طيبة في «القوس العذراء» وذلك في يوم ٢٠ صفر ١٣٨٥هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٩٦٥م وقد وضع فيها الأستاذ محمد عودة صاحبه في منزلته بين علماء الأمة، ثم ذكر أن بعض ما يكتبه الأستاذ محمود شاكر يترك في النفس «حزازا من الوجد حامزا» مثل هجومه على الثقافة الغربية، وكأنها فقط كتابات المستشرقين والمبشرين المعادين للإسلام.

قال الأستاذ رحمه الله «وكيف غاب عنه أنني بطبيعة نشأتي في هذه العربية الشريفة، وفي شرارة هذا الدين الذي لا يقبل الله من عباده سواه، يوم يقوم الناس لرب العالمين، لا من عاصي، ولا من متعلم، ولا من مفكر، ولا من عالم، ولا من نبي من الأنبياء. كيف غاب عنه أنني بطبيعة ذلك عدو للثقافة الغربية، لأنها ثابتة في مدارج نموها في بيئة وثنية، مسيحية، أنكر عقائدها، وأرفضها، وأعتقد بطلانها، كل البطلان، لمخالفتها للذي طالبنا به ربنا، وخالقنا، والمنعم علينا بآلائه ونعمه، من عقل، وبيان، وإذا أنا داهنت في ذلك أقل مداهنة فإنني على يقين من عذاب الله، الذي لا يغني عنه في دفعه ثناء صديقي الأستاذ

■■ الفكر الأوربي المسيحي أفضى بنا إلى فقدان الذات.

■■ فرق أن نقرأ كلام الآخرين لنعرف مايقولون، وأن نقرأه لنقول مايقولون.

عودة، ولا إعجابه، ولامودته، فإن الله يقول لنبيه ﷺ ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ فاذا فعلت فإني رهين بعذاب بئيس» (١٢)

وأعود إلى ما نقله الشيخ من كلام رؤوس المبشرين وكيف كانت تتفق كلمتهم على أن السيطرة الفكرية، والثقافية، على العقل الإسلامي هي أخطر طريق لتدمير ديار الإسلام، وأن تثبيت الأفكار الغربية المسيحية في ديار الإسلام، خطوة حاسمة في تحقيق أهداف إرساليات التبشير، وأن تَفْتِيتْ هذه الحضارة التي تقوم على مجموعة العلوم العربية والإسلامية أمر لازم حتى يتم المقصود من التجزئة السياسية التي فرضت على العرب والمسلمين، بعد سقوط الخلافة، واستطاعت وحدة هذه العلوم، وهذه الثقافة أن تُفقد هذه التجزئة قيمتها، وسأكتفي بكلمات قصيرة قالها مسيو «شاتليه» أحد رؤوس المبشرين في سنة ١٩١١م يوصي رجاله وصايا تعينهم على تمكنهم من «قضاء لبانتهم من هدم الفكرة الدينية الإسلامية» هكذا يقول بوضوح شديد وأهم هذه الوصايا التي تعين على قضاء هذه اللبانة هي «تثبيت الأفكار الأوربية في ديار الإسلام» وأن هذه الفكرة الدينية الإسلامية المراد هدمها» يجب أن تحاط بأفكار أوربية» وأن تطوق بها، ثم قال «إن هذه الفكرة الدينية الإسلامية لم تحفظ كيانها إلا بعزلتها، وانفرادها» (١٣)

ولاحظ أننا بغفلة شديدة غرسنا هذه الأفكار في داخل العلوم العربية والإسلامية، وزرعنا ثقافة أعجمية مسيحية في قلب الثقافة العربية الإسلامية واعتقدنا أن هذا تطوير لعلومنا، وصرنا نقرأ كتبا في اللغة والآداب لا نعرف هل هي عربية، أو أعجمية، ودنسنا الفكر العربي الإسلامي، بالفكر الوثني المسيحي، وهذه مصيبة ثانية، ولما طالب بعض الناس بتعريب الطب، قال الطبيب الأديب الدكتور يحيى الرخاوي ساخرا: عربوا علوم العربية أولاً.

ومعنى كلام هذا الرأس المدبر «شاتليه» أن الفكر الأوربي إذا ثبت في عقل المسلم، وقلبه، وليس في هذا العقل، والقلب، من علوم الإسلام وحقائقه، وأصوله، مايعصمه من غوائل النصرانية المتضمنة في هذا الفكر، استطاع هذا الفكر المنفرد في هذه النفس أن يهيئها لقبول النصرانية، وهذا هو معنى تدمير الفكرة الإسلامية بتثبيت الأفكار الأوربية، وأن أعداء الاسلام يقضون لبانتهم بهذا التدمير وهو أيضا معنى قول الشيخ رحمه الله في وصفه الثقافة الغربية أنها ثقافة ثابتة في مدارج وثنية مسيحية وأنه يرفضها كل الرفض، ويناقضها كل المناقضة، وليس معنى هذا رفض الاطلاع على تجارب الأمم وماذا يقولون؟ ومعرفة علومهم، وآدابهم، وطرائقهم في النظر، لأن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها في كل أرض، والعقل الحي كالطائر الحر لايحبس عن قراءة مايتاح له لأن حب الاطلاع شيء في سوس العقل، وفي طبع النفس مادامت نفسا، كما كان يقول علماؤنا رحمهم الله، ولكن لابد أن تدور رحى البحث والدرس، على علومنا، وأن يُغْمَسَ الجيلُ فيها، ويصبغ بها، حتى تَدْخل في لَحْمه وعظمه، وأن تحيا هذا العلوم فينا، وأن نحيا نحن بها وفيها، وأن تَتَقَلَّبَ بنا، وأن نتقلّب بها، وأن نَسْتَخْرِج مَنها خبأها، وأن تستخرج هي منا خبأنا، وأن تزدهر بنا، وتنمو، وتسطع، وأن نزدهر نحن بها، وننمو، ونسطع، وأن نحافظ على صفائها، وخصوصياتها، ونقائها، كما تحافظ هي أيضا على صفائنا، وخصوصياتنا، ونقائنا، لتظل هي بنا عربية إسلامية خالصة، ونظل نحن بها، عَرَبًا خلصا مسلمين غير مهجنين.

وهذا ما يفعله علماء الناس كل الناس، يحتفظون بخصوصية معارفهم، وثقافاتهم، ومناهجهم، وآدابهم، ليحفظ ذلك كله خصوصية الإنسان ابن هذه الثقافة، وابن هذه الآداب، وابن هذه المناهج، راجع كلمة الدكتور زكي نجيب محمود واعكسها تُصبْ، أعني قوله رحمه الله إنه هو وآلاف مؤلفة فتحت عيونهم على فكر أوربي قديم أو جديد.. الفكر الأوربي دراسته وهو طالب وتدريسه وهو أستاذ ومسلاته كلما أراد التسلية، اجعل هذا للفكر العربي الإسلامي، وهذا هو الذي يَحْدث في كل شقّ من الأرض، وقوله «وكانت أسماء المذاهب والأعلام في الفكر العربي لاتجيئه إلا أصداء، كالأشباح الغامضة، يلمحها طافية،» اجْعَل هذا لفكر الآخرين، ليس من الأوربيين فحسب، وإنما أيضا لبقية أمم الأرض، ذات الحضارات، والعلوم، والآداب، ولا تَنْفَتح على العدو الألد وحده، نحن لم نراجع فكر إيران، ولا علومها، ولا آدابها، إلا في حيز المتخصصين، وقل مثل ذلك في اليابان، والصين وأمم الشرق الأقصى.

وكان علماؤنا يقولون لا يجوز للمبتدئ أن يقرأ كلام المخالفين إلا بعد أن يحكم المذهب، وأن يحكم أصوله، وفروعه، فإذا تقرَّر في نفسه، وقويت عنده حججه، واستنارت في عقله، فله أن يقرأ ما يشاء.

ولا شك أن كثرة المدارسة لباب من أبواب العلم تكشف فيه خفايا، وتستخرج من تحت ألفاظ أئمّته، وشيوخه، معانيَ وأفكاراً، لم يكن لها أن تُستَخْرج إلا بطول الملابسة، وهذا وجه جيد من وجوه التجديد، ثم إن كثرة المدارسة أيضا لباب من أبواب العلم

يولد في النفس خواطر جديدة، حول هذا الباب، وإنما بقيت علومنا راكدة لأن عقولنا لم تَتَلَبَّسْ بها بالقدر الكافي، بل غابت عنها، على حد ما وصف المرحوم زكي نجيب محمود ولا يكفي أن تتوفر عليها طائفة، وإنما الأمة كلها، تجعلها قُطْبَ رحى الدرس، والبحث، والتأليف، وكتابة المقالات.

ومن فعلوا ذلك وتوفروا على علومهم هذا التوفر، يقرؤون من ثقافات الأمم ماشاءوا، وهكذا كان حال علمائنا في تاريخنا ألموا بتراث الإنسانية، وجعلوا طحينهم وحده تحت رحاهم، وهكذا كان المرحوم محمود شاكر وقد اعتبر وصف صاحبه له بالتقصير في معرفة الفكر الأوربي سُخْفًا وقال «هل يتفضل الصديق بإطلاعي على شيء من كلامي يتضمن هذا المعنى السخيف» (١٤).

وهناك فرق شاسع جداً بين أن تقرأ كلام الآخرين لتعرف كيف يفكرون؟ وبين أن تقرأه لتفكر كما يفكرون، وكذلك فرق بين أن تقرأ كلام الأخرين لتعرف ماذا يقولون؟ وأن تقرأه لتقول ما يقولون، أو شبه الذي يقولون، أنت في الحالة الثانية ضعيف مقلد، وفي الحالة الأولى عالم متمكن، والتقليد خليقة مرذولة، وَقَدْ قَالَ عُلَمَاؤُنَا إِنَّ الْمُقَلِّدَ أذل منَ العنزة الجَرْبَاء تَحْتَ الشَّمَال البَلِيل، يعني الذي يقرأ كلامَ الآخرينَ ليفكر كَمَا يُفَكِّرونَ، وَ ليقُولَ مِثْلَ الذي يقُولونَ، لَيْسَ هُو هَذه العَنْزَةَ الجَرْبَاء تَحْتَ المَطر الشديد البرد، وإنما هُوَ أذل منهَا، فَهل يُمكن لهَذا العَنْز الأجْرَب أنْ يُطَوِّر عُلوماً وَ أنْ يُحْدِثَ نَهضَةً؟!!

وأعطيك مثلا قريبا للفرق الهائل بين القراءتين:

قرأ المرحوم محمود شاكر مقالة «نشأة الشعر العربي» التي كتبها مرجليوث وقرأها الدكتور طه حسين.

عرف الأستاذ محمود شاكر ماقاله مرجليوث ثم أهمله، والدكتور طه حاضَر به طلابه، وسكت عن مصدره، وأوهم أنه مما استخرجه بالمنهج الجديد. هذه واحدة، وأمر آخر هو أنك تجد الأستاذ محمود شاكر رحمه الله مع سعة علمه، بالأعجميات لا يَرْتَضخُ فكرة أعجمية واحدة، وهو يتناول أي دراسة لشعر أو لغير شعر ولا يُقْحم نَفسا أعجميا واحدا في كلام عربي، وهذه دراساته المتسعة والمتعددة.. ونقد الشعر الذي صار أعجميا ويوشك أن يكون كامل العُجْمة، ليس في كلام الأستاذ محمود فيه حرف واحد مع أنه قادر على أن يتناوله تناولا أعجميا خالصا، ويحرص كثير منا على أن يتكبر بهذه الأعجميات، حتى ولو كان قد خطف كلمة من هنا. وأخرى من هناك.

وقد اتضح الآن الفرق بين معرفة ماعند الآخرين، والاحتفاظ بصفاء علومنا، والله أعلم.

وأتوجه إلى الأخوين الكريمين الصديق العزيز عبدالرحمن شاكر، والدكتور فهر محمود شاكر، برجاء هو من حق الشيخ علينا، ومن حق الأجيال عليهم، وهو: **أولاً:** المحافظة على كل مالم ينشر مما كتبه الشيخ وأعده لذلك، و**ثانيا:** جمع كل مقالاته في كل فنون المعرفة، ونشرها و**ثالثاً:** جمع تعليقات الشيخ على النسخ التي كان يقرؤها مثل تعليقاته على ديوان الحماسة، والخصائص، لأبي الفتح، وكتاب سيبويه، وقد رأيت بعضها، وقد أفدت منها، وفتحت لي تعليقة واحدة، بابا من أبواب الفهم، ولم تزد هذه التعليقة على قوله على هامش نص «انظر القوس العذراء» فربطت بين ما في النص، والقوس العذراء ففتح لي هذا الربط بابا من الفهم هو الذي كتبته في كتيب صغير، سميته «القوس العذراء وقراءة التراث» وأهْدَيْتُه إلى الشيخ ولما قرأه رضيه واغتبط به، وليس فيه إلا ما فهمته من هذه الإشارة، و **رابعا:** المخطوطات التي تعمر بها مكتبة الشيخ لأمهات الكتب وقد ذكر رحمه الله أن طبعة «العقد الفريد» تسقط من عداد ما يوثق به إذا روجعت مخطوطاتها التي عنده(١٥)

فمكتبة الشيخ كنز من كنوز هذه الأمة.

أعانكم الله على الوفاء لهذا الإمام الجليل وأداء الأمانة وجعل ذلك نورا في قبره ونورا يسعى بين يديه وأسكنه مع الأئمة الطيبين المرضيين، وألحقنا بهم كرامة نفس وقرة عين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

■■ هوامش:

* د.محمد محمد أبو موسى: رئيس قسم البلاغة السابق بكلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر ـ وأستاذ البلاغة والنقد بجامعة أم القرى الآن، من آثاره: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ـ الإعجاز البلاغي ـ من أسرار التعبير القرآني ـ القوس العذراء وقراءة التراث ـ وغيرها.

(١) الطريق إلى ثقافتنا ص ٨١

(٢) راجع ما كتبه الشيخ عن هؤلاء الأعلام في كتاب «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» ص ٨٠ وما بعدها

(٣) راجع النص في «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» ص ٨٣ وما بعدها

(٤) الطريق إلى ثقافتنا ص ١٠٤

(٥) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٩٦

(٦) يراجع «فساد حياتنا الأدبية» مقدمة كتاب المتنبي ص ١٩

(٧) تجديد الفكر العربي ص ٥

(٨) تجديد الفكر العربي ص ١٣

(٩) المرجع السابق

(١٠) النص من مقالة كتبها الدكتور يعقوب زكي بعنوان محمد إقبال وترجمها المرحوم يحيى حقي ونشرها في مجلة المجلة يونيو ١٩٦٩

(١١) أباطيل وأسمار ص ٤٩٧

(١٢) أباطيل وأسمار ص ٣٩٨

(١٣) أباطيل وأسمار ص ١٨٦

(١٤) أباطيل وأسمار ص ٤٩٦

(١٥) نمط صعب ص ٢٧

■■■